# بسم الله الرحمن الرحيم

# مشروع الأصول الثلاثة

## الدرس الثالث

الحمدُ لله رب العالمين , والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين , سيدنا محمَّد وعلى آلهِ وأصحابهِ أجمعين , وعنِ التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين , أما بعد :

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: { بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ: المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ. المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ. المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم: وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ [العصر:1-3] .

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ [محمد:19]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ (قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ) }

• لقد ابتدأ الشيخ رحمه الله رسالته بالبسملة , اقتداءاً بالكتاب العزيز , وتأسياً بخير الأنبياء والمرسلين , إذ كان يبتدىء رسائله إلى الملوك بالبسملة , وذكر البسملة في بداية المصنفات للتبرك بأسماء الله جل جلاله وصفاته الحسنى .

• ثم قال المؤلف رحمه الله [اِعلَم رَحمَك الله]: من قرأ الكتب الشيخ رحمه الله علم شفقته على أمته , وهذه الجملة أتى بها لتنبيه القارىء على أهمية الكلام الذي سيقوله , والعلم من أعلى مراتب الإدراك والتي هي (العلم , الظم , الشك , الوهم , الجهل) إذ أنَّ العلم هو المعرفة اليقينية التي وقرت بالقلب وصدقها العمل .

والشيخ رحمه الله يدعوا للقارىء بأن يرحمه الله , وبهذا نعلم تواضع الشيخ وحبه لهداية البشر وإن خالفهم في بعض المسائل وأخطرها , وهذه هي دعوة الإسلام فالإسلام أمر بعبادة الله جل جلاله , وأمر الداعين أن يتسلحوا طريقهم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن , فكسب القلوب أولى من والخصومات .

وقد أثنى جل جلاله في الكثير من الأيات على العلماء وبين فضل العلم وصح عن رسوله صلى الله عليه وسلم أنَّ من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنَّة.

ومن الآيات الدالة على فضل العلم والعلماء تلك الآية التي فيها مدح للعلماء في أبهى الصور , قال تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ [فاطر : 28]

فقد حصر الخشية منه سبحانه للعلماء خاصة لأنهم أحق الناس بها لما يعلمونه عن الله وآياته وآلائه .

• قال المصنف رحمه الله [ اعلم رحمك الله , أنَّه يجب علينا تعلم أربع مسائل]: فذكر الإمام أهمية هذه المسائل الأربعة والتي سيأتي تفصيلها بعد قليل , فهي واجبة على المسلمين , وهي أركان الدين وأساسه .

• قال المصنف رحمه الله [الأولى: العلم: وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة]: والعلم هو ادراك الشيئ على ما هو عليه إدراكاً جازماً , فالشك لا يُسمى إيمان , فيجب على كل المسلمين أن يعرفوا الله والنبي صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام معرفة يقينية , ومعرفة الله لا تحتاج ابتداءاً إلى نظر وتأمل في الدلائل الكونية والأدلة الكلامية كمبدأ السببية وغيره , بل معرفة الله تكون ابتداءاً بالفطرة السليمة , فالفطر السليمة والعقول المستقيمة تعرف تماماً أن لهذا الكون خالقاً

ومدبراً تلجأ إليه في كل شؤون حياتها , وأما ما تعرضت هذه الفطر للشبهات فإنها تحتاج للنظر والتدليل على قدر ذلك .

ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم تكون بمعرفة أنه رسول الله للناس أجمعين , وأن الله أنزل عليه الكتاب وأمره بتبيينه بما أوحاه إليه من السنة المطهرة , وأنه خاتم الأنبياء والرسل باتفاق , وأنه أفضل البشر على الإطلاق .

وأما معرفة دين الإسلام , فتكون بعد معرفة النبي صلى الله عليه وسلم, لأن الدين مأخوذ منه , فيؤمن بأن الإسلام هو دين الله جل جلاله , وأنه لا يقبل من عبد ديناً سواه , وأنَّ دين الله واحد من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة , فلا يصح إيمان عبد إلا بمعرفة هذه الأمور معرفة يقينية وهذه المعرفة إن عُضِّدت بالأدلة فحسن , إذ يجوز التقليد فيها للعامة فمن كانت فطرته سليمة وقلَّد العلماء في الإقرار بوحدانية الله وبالرسالة لنبيه وآمن بالبعث والنشور والجنة والنار , وأدى الواجبات واجتنب المحرمات , فهذا مؤمن وسيدخل الجنة إن شء الله تعالى وإن لم يعرف الأدلة على ذلك , فإن معرفة الأدلة أمر شاق يعثر على عامة المسلمين , ولا شك أن معرفة المسألة بدليلها أمر مندوب إليه شرعاً وقد يكون واجباً على علماء الأمة ومن تصدر لتعليم الناس .

ومن فقه الإمام البخاري – حيث قال العلماء فَقُهَ البخاري في تراجِمه – فإنه بوَّب باباً في أهمية العلم: باب العلم قبل القول والعمل , وقد صدَّره بقوله تعالى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ [محمد : 19]

فاستدل بهذه الآية على أهمية العلم , وأنه يسبق العمل , لأنه المصحح له وللنية .

- قال المصنف رحمه الله [ الثانية: العمل به]: فإن الله جل جلاله ما خلق الخلق إلا ليعبدوه , قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات : 56]

والآيات في الحث على العمل وأنه هو مناط التكليف كثيرة , فمنها قوله تعالى: وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [التوبة : 105]

وفي الحديث المتفق عليه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ .

• قال المصنف رحمه الله [ الثالثة: الدعوة إليه]: فإن هذا الدين نزل ليُعمَل به , ونزل ليحقق السعادة في الحياة البشرية , ومن هنا نعلم أهمية الدعوة إلى هذا الدين العظيم , وقد ذكر الله ذلك في كتابه في كثير من الآيات , ومن تلك الآيات: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [يوسف : 108]

ولأهمية هذه الأمور الثلاث - العلم , العمل , الدعوة – في حياة الأمة أنَّ شيخ الإسلام نقل إجماع السلف على أن العالم لا يستحق أن يُسمَّى رَبَّانِيًّا إلا إذا قام بها, ومن هنا نعلم لماذا امتحد الله العلماء وخصَّهم دون غيرهم باستحقاق بخشيته سبحانه .

• قال المصنف رحمه الله [ الرابعة: الصبر على الأذى فيه]: فإن الداعي إلى الله عزَّ وجلَّ سوف يصطدم برغبات الناس المنافية لكمال التوحيد والأخلاق الحميدة مما يزينه الشيطان الرجيم , وبالتالي فلا بد أن يتعرض لأنواع من البلايا في سبيل تحقيق الغرض , وقد حكى سبحانه وصية لُقمان لابنه , فقال: يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [لقمان : 17]

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا وفي ذلك من الحكم الجميلة , التسلية الربَّانية العظيم لعباده المؤمنين , فَذِكرُ ما جرى للمؤمنين من أهل الأمم السابقة , وما جرى لأنبياء الله من المصاعب لعبرة لأولي الألباب .

ومن فقه الشيخ أنه استدل على جميع هذه المسائل بسورة قصيرة جداً لا تتجاوز السطرين , حتى قال الشافعي رحمه الله في أهميتها: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ .

فقد أقسم الله سبحانه وتعالى فيها بالوقت - لأهميته في حياة الإنسان - , أنَّ جميع الناس في خُسران مبين , إلا - أداة إستثناء - الذين آمنوا – وهذه المسألة الأولى - , وعملوا الصالحات - وهذه المسألة الثانية - , وتواصوا بالحق – وهذه المسألة الثالثة - , وتواصوا بالصبر – وهذه المسألة الرابعة - .

فهذه السورة على وجازتها جمعت أركان الدين والحياة الصالحة , كيف لا وهي جزء من كلام الله عزَّ وجلَّ المعجز .